

قصص من سيرة شهداء المقاومة الإسلاميّة

قصة الشهيد المجاهد علي أحمد عنيسي

بقلم: نسرين إدريس قازان

باسم رب الشهداء

أولسنا على حق؟!

مرّت ثلاثةُ أيّام من نشوة النجاح، كانت ابتسامته عريضةً مطمئنّة، وهو يخبر أمّه عن الجامعات التي سيتوجّه إليها في العاصمة بيروت، ليطّلع على الاختصاصات المتوفّرة، على الرّغم من أنّ انتقاءه لهندسة الاتصالات باتَ شبه محسوم، فهذا **«الاختصاص تحتاجه المقاومة»**، هذا ما قاله بالضبط، فقد دأبَ عليٌّ منذ صغره، على ربط خياراتِ حياتِه بالمقاومة، ما يعني أنّ المقاومة هي خياره الوحيد. ربّما يستغرب بعض الناس سبب هذا الانجذاب الساحر إلى الجهاد، وربّما يظنّ بعضٌ آخر أنّه مجرّد حماسة مراهقة، وخصوصًا أنّ حياته مليئة بمباهج الحياة، فأبوه تاجر من أهمّ تجار مدينة صور، ترف الحياة متوفّر له في كثير من التفاصيل، ولكن خياره، كان خيار حياة : **«أن نعيش بعزّة وكرامة»**.

عندما كبر عليّ قليلًا اكتشف أنّ بعض رحلات والده، لم تكن تجاريّة أو زيارة مقامات مقدّسة، حسبما أخبرتهم والدته، بل كانت جهاديّة. بلى لقد التحق والده بالمجاهدين بعد سنّ الخامسة والثلاثين، لم يجد أنّ سنّ الرّجل عقبة أمام ذلك... وأثبت عليّ أيضًا أنّ الشاب قد يحتاج إلى خطوة واحدة ليختصر السنوات إلى الرجولة. فما أن صار في سنّ البلوغ حتّى اعتبر أنّ تكليفه في الحياة تغيّر، فهو الآن مسؤول عن كلّ ما يقوم به، سيحاسب على كلّ شيء، فكان قراره الأوّل ترفيع نفسه من الكشافة إلى التعبئة العامّة. كان همّه أن يخضع لدورات عسكريّة ويطوّر من أدائه الجهاديّ، وذلك في إطار التأهّب الدائم لأيّ معركة مع العدوّ الصهيونيّ.

وقبل أن ينطلق إلى بيروت بقليل، جاء خبر أسر جنديّين إسرائيليّين في عيتا الشعب، أجّلَ «مشواره» قليلاً، وسرعان ما ألغاه بعد أن صار صوت القذائف مسموعًا.

«المقاومة تحتاج إلى مهندسي اتصالات... ولكنها الآن تحتاج إلى الرجال».

ذلك الوجه الفتيّ الجميل المبتسم دائمًا كان يرتسمُ بالطيبة والشجاعة والبأس، هذا ما رأته أمّه عندما وجب عليها ترك المنزل هربًا من التدمير العشوائيّ بعد أيّام من بدء حرب تمّوز. ظنّت أنّه سيأتي معها، ولكنه ارتمى في حضنها ليشمّ رائحة الحياة. وودّعها مصرًّا على البقاء مع والده، فقال لها: «**إمّا أن نعيش بعزّة وكرامة وإمّا أن نموت بعزّة وكرامة!**». كان حاسمًا واثقًا مدركًا لما يقوله. يومها شعرَتْ بأنّ خيمة ليلى أمّ عليّ الأكبر صارت فوق رأسها.

في منطقة الحوش - صور، كثيرًا ما شوهدَ عليّ مع والده كتفًا بكتف، يحملان الصواريخ معًا، يرميانها على المستعمرات الصهيونيّة ويركضان قبل أن تُسقط طائرات الاستطلاع صواريخها عليهما...

لم يكن مسموحًا قتال الأقارب جنبًا إلى جنب، فكيف بالأب وابنه؟ ولكنّ الحاج أحمد رفض الامتثال لهذا القرار، فالحرب تلغي الكثير من قواعد الاشتباك... وفي الحقيقة أن ليست شجاعة عليّ فحسب، ما حدا بأحمد الالتصاق بابنه، بل هي رؤيا رآها قبل أشهر قليلة، وهي أنّ الملاك جبرائيل عليه السلام أخبره أنه سيُستشهد وابنه عليّ...

وما أكثر ما قيل له: «يا أحمد، ابنك لا يزال صغيرًا طريّ العود، ما له وللحرب؟!». فيسترجع أحمد قائلاً: «**إنّا للّه وإنّا إليه راجعون**».

وطمأنه عليّ: «**أولسنا على الحقّ يا أبتِ**، إذًا لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا».

وكثيرًا ما قيل له: «رابط بعيدًا عن الخطر، أنت في مُقتبل العمر أيّها المهندس الصغير»، فلم يرضَ عن الرجولة بديلًا.

في غرفتها البعيدة كانت أمّه تبكي، تدعو الله أن يحفظ عائلتها، وليس كلّ الحفظ حياة، بعضه فوزٌ ونجاة..

ما أجمله يركضُ لاهثًا بين أشجار الليمون في البساتين الّتي طالما لعب فيها طفلاً صغيرًا، ما أصبره عطشانَ في حرّ تمّوز اللّاهب، وكتفه قدِ اسودّ من حمل الصواريخ الثقيلة، فلم يتعب، ولم يهدأ، حتى كانت آخر صلية أطلقها مع والده، واستُشهدا بعدها مباشرة...

أحد عشر يومًا والقمرُ مزروعٌ في تراب البساتين... أحد عشر يومًا كانت جدائل الشمس تغطّيه... ووشاح الليل يؤويه، قبل أن يُحمل جثمانه وجثمان والده ويُدفنان متجاورَيْن.





